اذكروا .. واحذروا

فى مطالع القرن الثالث عشر للهجرة، والتاسع عشر للميلاد، كان العالم الاسلامى يخضع للخلافة العثمانية فى وحدة سياسية جمعت أطرافه تقريبا ماعدا أندونيسيا التى احتلها الهولنديون، والهند الاسلامية التى احتلها الانجليز.

وكان هذا الكيان الضخم مسرحا لعلل فاتكة أكلت عقله وضميره وبدنه.

كان العملاق - الذى آلت اليه مواريث الراشدين والأمويين والعباسيين - يترنح فى الميدان الدولى، وينتزع خطاه بصعوبة فوق أرض توشك أن تكون مقبرته!

وكان لقب الرجل المريض هو الاسم الذى شهر به فى طول الدنيا وعرضها. كأن مرضه آفة فذة تستحق الذيوع والتندر!!

لكن المريض الكبير لم يسلم الروح بسهولة، فقد صارع آلامه الداخلية والخارجية صراعا دل على تشبثه بالحياة، وقدرته على المقاومة، ولم يستسلم للموت إلا بعد مائة وخمسين سنة بدأت بعد حملة فرنسا على مصر، ثم الجزائر، وانتهت فى أعقاب الحرب العالمية الأولى بعد ما اقتسم الحلفاء التركة الهائلة، وبعد ما أوعزوا للكماليين أن يرموا بالخلافة فى البحر..!!

ومع الألم الذى يستشعره المسلم لتمزق أمته، وذهاب خلافته، وضياع وحدته ، فلابد من الاعتراف بالحقيقة المهينة. وهى أن الخلافة التركية لم تكن جديرة بالبقاء لا من ناحية الدين ولا من ناحية الدنيا.

ففى عهدها بعدت الشقة بين المسلمين والاسلام بعدا رهيبا بل لقد حال الاسلام أثرا بعد عين.

وإذا كانت حضارته الأولى قامت على الحقائق والفضائل، فان العالم الاسلامى أجمع فى ظل السيادة التركية كانت تذرعه الخرافات والتفاهات جيئة وذهوبا بين المحيطين الهادرين.

ووسعت الضغائن الفجوة بين العرب والترك ، فكان ظلم هؤلاء وكانت

خيانة أولئك..، سر الاستعمار الذى أطبق بليله الحالك على أمة ضريرة، مهيضة، حائرة..!!

وفى الوقت الذى كانت دولة الاسلام تنحدر فيه الى الغروب ، كانت هناك حضارة أخرى تولد فى أفق عريض، وتأخذ طريقها الى امتلاك أزمة الأمور فى أرجاء الأرض كلها .والحضارة الأوربية الوارثة قادتها أول الأمر نهضة عقلية مادية ناشطة جريئة، وقد نشب بينها وبين النصرانية خصام دام مر..!!

إلا أن رجال الكنيسة سرعان ما واءموا بين ما لديهم وبين هذه اليقظة الجديدة فظفروا منها بحق الحياة، ثم بحق المشاركة والتوجيه.

وهذا الازدواج اصطحب معه الأحقاد الدينية القديمة، فاذا السياسة الأوروبية الحديثة – برغم الجو العلمى الذى نبتت فيه – تمليها سياسات ناقمة جائرة، تؤثر الباطل على الحق، والجور على الانصاف، والتعصب على السماحة، وتحاول بنزق غريب أن تهين الاسلام وأمته فى كل مكان!!

وقبل أن نشرح تفاصيل هذا السلوك نحب أن نلفت النظر الى أن الجو العلمى الذى نبتت فيه الحضارة الحديثة لم يكن من صنع أوروبا ولا أمريكا.

وما كانت تربية القارتين خلال الأزمنة الماضية بهذا الجو.

«لقد أزدهرت الحضارة الاسلامية فى القرون الهجرية الأولى، وحمل العرب والمسلمون المشعل الحضارى فى هذا الدور من أدوار التاريخ الانسانى، فأضاء للغرب ظلمات عصوره الوسطى! هذه حقيقة تاريخية اعترف بها الغربيون أنفسهم ، وأقر مؤرخوهم – من أمثال ويلز، وديورانت، وتوينبى – بأن النهضة الحديثة فى أوروبا تدين بوجودها لما تلقت من الشرق العربى الاسلامى، الذى كان يقود البشرية على درب الحضارة فى العصر الوسيط».

بيد أن البغضاء الكامنة على الاسلام أهالت التراب على اليد التى أسداها.

ولم تلبث إلا قليلا حتى جعلت الدول الكبرى، تتحرك وراء هدف واحد، هو الحيلولة دون قيام دولة إسلامية كبرى، وتعميق الجراحات التى أصابت الأمة الاسلامية لعلها تنتهى بها الى التلاشى والفناء.

وهى ترى أنها أفلحت خلال القرنين الماضيين فى تقطيع أوصال الخلافة وتمريغ كرامتها فى الوحل.

فلتمض فى الطريق نفسها!

ولتعمل ظاهرا وباطنا على تشديد الخناق حول رقبة الاسلام وآماله فى الحياة!

ولتستخدم الحيلة والسلاح جميعا فى خذلان كل قضية إسلامية، وتأليب أى خصم ضدها.

وفى سبيل القضاء على الاسلام، ومنع الاتجاه اليه، أو التجمع عليه، وضعت أوروبا هذه النقط الثابتة، وجعلتها محور سياستها مع مختلف الحكومات والشعوب الاسلامية:

١ ـ تمثل الخلافة الاسلامية أبوة روحية وثقافية، وقوة اقتصادية وعسكرية وسياسية، وقد حرصت أوروبا على تجريد المسلمين من هذا اللواء الجامع وذلك الرمز المهيب، وأوحت بإهالة التراب على كل كلام فى موضوعه، حتى لا يظفر الإسلام فى حاضره أو مستقبله بنظام يلم شمل المسلمين فى مختلف القارات ويحدو قافلتهم وهى تسير مع الزمن!

ذلك فى الوقت الذى يدعم فيه السلطان الروحى والثقافى والسياسى للبابا، وتستقبل كلماته وكأنها وحى مصون.

ومما لا يمكن تجاهل دلالته أبدا أن بابا رومة أصدر قرار حرمان ضد رئيس حكومة الأرجنتين فسقط الرجل سقوطا مدويا لم يقم منه الى الآن، وها قد مضت عشرة أعوام وهو شريد طريد.

أما رجالات الاسلام الذين هم مظنة التجميع العام لأمته أو التجميع المحدود، فدون بروزهم وثباتهم مصاعب وأهوال..!!

٢ ـ واجتهدت السياسات الاستعمارية فى قتل الأخوة الاسلامية، ووضعت خطتها لكى تجعل من «المواطنة» ومن «القوميات الضيقة» بديلا وحيدا للجامعة الاسلامية.

وبذلك تبعثر المسلمون على نحو سبعين جنسية كل جنسية معزولة عن الأخرى أو محبوسة وراء فواصل مادية وأدبية لا حصر لها.

وعندما قامت الجامعة العربية رحبنا بها على أساس أنها جزء من كل، أو خطوة على الطريق.

ولكن الانجليز الذين أو عزوا بتكوينها كانوا يريدونها عروبة مقطوعة عن الدين، متنكرة للاسلام!

والغريب أن دعاة القومية العربية تأثروا بهذا الايحاء الأجنبى، فكان السر الأهم وراء تجمعهم طلب الحياة وحسب، فى عالم يلتهم الكبار فيه الصغار..!

أى أن اتقاء الخطر الذى يتعرض له الضعاف هو أساس التنادى بالقومية.

وفى ذلك يقول المازنى: «لو أن هذه القومية العربية لم تكن الا وهما لا سند له من حقائق الحياة والتاريخ لوجب أن نخلقها خلقا! فما للأمم الصغيرة أمل فى حياة مأمونة، وما خبر مليون من الناس مثلا؟ ماذا يسعهم فى دنيا تموج دولها بالخلق؟ وكيف يدخل فى طوقهم أن يحموا حقيقتهم؟ ويذودوا عن حوضهم؟ إن أية دولة تتاح لها الفرصة تستطيع أن تثب عليهم، وتأكلهم بلحمهم وعظمهم، ولكن مليون فلسطينى إذا أضيف اليهم مليونا الشام، وملايين مصر والعراق مثلا يصبحون شيئا له بأس يبقى».

والمازنى - غفر الله له - يقول ذلك سنة ١٩٣٥.

فكيف لو عاش ورأى العرب وحدهم أعجز من أن يوفروا الأمان لأنفسهم أمام أعداد ضخمة من الخلق تكيد لهم، وتعمل على استئصال شأفتهم؟

إن العرب ما يزيدون عن ٨/١ المسلمين، وأن الجامعة الاسلامية، ببواعث الإيمان الواحد، والفداء الواجب هى التى تستطيع وحدها أن تدفع عنهم الضر..!!

ولكن الاستعمار شديد الحرص على إخفات صوت الاسلام فى معركة البقاء العربى ذاته..!!

٣ - وعندما أفلح الاستعمار فى تقسيم الأمة الكبرى إلى عشرات الأمم فرض على كل أمة وحدها ما يأتى:

(أ) أن تقصى التربية الإسلامية عن برامجها وهى تكون الأجيال الناشئة.

(ب) أن تمحو التقاليد الإسلامية فى ميدان العلاقات العامة.

(جـ) أن تقطع الصلة بين قانونها وبين الشريعة الإسلامية.

وبهذه الضمانات الفاجرة اطمأن الاستعمار الغربى الى أن الاسلام سوف يتلاشى يقينا، وأن بقاياه فى الأنفس والبيئات كما قيل:

تتخلف الآثار عن أصحابها حينا ويدركها الفناء فتتبع!!

وما مستقبل دين يحيا بنوه دون تربية فاضلة، أو تقاليد عاقلة، أو أحكام عادلة؟ إن الفتن الظاهرة والباطنة التى تلف أحوال الناس فى هذا الانحلال الهائل لا حصر لها ولا حد لضررها.

وذلك ما نرى أثره فى كثير من البلاد الاسلامية التى تحسب نفسها متحررة لأن جيوش الاستعمار جلت عن أرضها، وهى فى الحقيقة مجرورة وراء هذا الاستعمار بحبال أكثرها خفى وأقلها مكشوف!!

٤ – والاستعمار العالمى ضائق باللغة العربية ودائب على حربها، وقد أفلح فى جعلها لغة ثانوية فى الميدان الدولى، لا، بل بين أهليها أنفسهم.

وفى الوقت الذى تحيا فيه اللغات الميتة فتنشط الصهيونية فى بعث العبرية، وتنشط الهند فى تمزيق الأكفان عن لغتها البالية، فى هذا الوقت تبعد اللغة العربية عن ساحات العلم، وتصر الجامعات الحديثة عندنا على رفض التعليم بها، وكذلك تبعد لغة التخاطب فى أكثر الإذاعات عن الأسلوب العربى مؤثرة اللهجات العامية.

إنهم يحيون الموتى ونحن نميت الحى.. !!

ومنذ ربع قرن كان الأزهريون يلتزمون قواعد النحو ومخارج الحروف.

فما زالت بهم السخرية، وما زال الاستهزاء بكلماتهم وعمائمهم فى الشارع والمسرح، حتى تركوا اللغة العربية وقرت عين الاستعمار.

٥ – والتاريخ الإسلامى! إن التجهيل فيه والاستهانة به، والإزراء عليه، خطة رسمت بعناية ومكر، وذلك كى تنشأ الأجيال المحدثة وهى مفصولة روحيا وذهنيا عن آبائها الأصلاء، وقد لاحظ شوقى ذلك، فقال:

مثل القوم نسوا تاريخهم كلقيط عى فى الناس انتسابا

أو كمغلوب على ذاكرة يشتكى من صلة الماضى انقضابا

إن الشعب الأمريكى يتصيد له ماضيا، حتى يحس أن له جذورا فى دنيا الناس، وهو الآن يبسط جناحيه فى حماية الصهيونية والصليبية، ليلتصق بالتاريخ العام.

أما نحن فان الاستعمار ختلنا عن تاريخنا العريق ليفقدنا الثقة بأنفسنا، ورسالتنا، وما نستطيع إسداءه للحياة من حق وخير.

فهل نلين معه؟

أيها المسلمون... ذاك بعض ما نستطيع اليوم إثباته، فاذكروا واحذروا.

اذكروا ما يريده بكم عدوكم.

واحذروا أن تعينوه على أنفسكم.

* * *

obeikandl.com

هذه البقايا النجسة..

عرفنا على وجه اليقين أنه عندما احتل الفرنجة أقطار الشرق الاسلامى فى القرون المتأخرة كانوا يحملون معهم أحقادهم القديمة على الاسلام وأمته لم ينقص سوادها ذرة.

إلا أنهم جاءوا هذه المرة أوسع حيلة وأعظم مكرا، واستطاعوا بطرقهم الجديدة الخبيثة أن يلحقوا بالاسلام وأمته هزائم فاضحة وضربات مهينة ما كانوا ليقدروا عليها لو جاءوا سافرين!.

وقد تفاوتت مدة بقائهم فى أراضى الأمة المغلوبة على أمرها، إذ مكثوا فى بعضها عشرات السنين، وفى بعضها الآخر مئات السنين.

والمهم أنهم لما اضطروا تحت ضغوط كثيرة للجلاء عن بعض هذه البلاد أن يجلوا عنها إلا بعد أن خلفوا أجيالا ترنو اليهم، وتتعلق بهم، وتعمل معهم ضد دينها، وتاريخها، وأمتها، ورسالتها.

وقد ذكرت فى الموضوع السابق كيف حرص الاستعمار، فى فترة حكمه المباشر أن يجرد الأمة من التربية الحافظة والتقاليد المرعية، والأحكام الرادعة، وأن يميت الاسلام فى هذه الأرجاء كلها حتى ينشأ من ينشأ من البنين والبنات وهى إلى الحيوان أقرب منه الى الانسان.

وحتى تفقد المجتمعات الاسلامية وحدة الشعور والهدف، وتنحل من رباط العقيدة وأدب السلوك.

ولكى يدرك القارئ مبلغ نجاح الاستعمار الأوروبى فى إدراك مآربه أنقل إليه صورة من النشاط الصحافى فى القاهرة عاصمة العروبة والإسلام!!

والصورة من مجلة آخر ساعة، العدد الصادر فى ١٩٦٨/٧/٣١.

فتحت عنوان خادع «دعوة الى الفساد» نشرت المجلة رسالة لمكاتبها فى لندن يقدم فيه المراسل اللندنى كتابا صدر هناك (عن الجنس والمجتمع).

وقد قرأت خلاصة وافية لهذا الكتاب القذر، تقدمها مجلة آخر ساعة لقرائها فى معرض من البرود أو القبول، وفى إطار من الإغراء أو الدفاع.

ويتم هذا كله واليهود فى بلادنا يطئونها دون محاذرة، ويضربونها دون رد.

تحت العنوان الماكر يقول الكاتب – العربى المسلم –: «العالم على حافة فساد جنسى رهيب، ومع ذلك فصمام الأمان ما زال فى أيدينا.. يمكننا أن نضغط عليه قليلا فننقذ العالم، ونتفادى هذه الثورة الجنسية التى تهدده.

وفى سبيل إنقاذ العالم يجب علينا أن نتنازل عن بعض القيم والمبادئ الأخلاقية والمثل العليا..!!

وبعد ذلك سترتاح نفوسنا وسنعيش حياتنا فى هدوء، ولن تهددنا أى ثورات جنسية فى المستقبل.

فأولا لكى تحقق كل ذلك يجب أن نترك لبناتنا شيئا من الحرية الجنسية، ونضع أعصابنا فى ثلاجة فلا نثور أو نغضب، أو نحاول الثأر لشرفنا إذا اكتشفنا أن البنت ليست عذراء قبل الزواج..!

شئ آخر علينا أن نفعله، إذا أردنا إنقاذ العالم من الثورة الجنسية التى تهدده، وهو أن نترك لزوجاتنا أيضا الحرية الكاملة بعد الزواج، فلا نمانع، أو نعترض، أو حتى نعلق بأى كلمة إذا اكتشف أحدنا أن لزوجته عشيقا أو صديقا..!

ومقابل ذلك يكون من حقنا نحن الرجال أن نفعل ما نشاء علنا بعد الزواج بعد أن كنا نفعله سرا..

فكما تفعل الزوجة يمكننا نحن أيضا أن نفعل نفس الشئ.

يقول الكاتب الغيور على دينه وشرفه وأمته(!!):

هذه الآراء الجريئة قرأتها فى كتاب صدر أخيرا فى لندن بعنوان: (الجنس والمجتمع، نظام جديد للعلاقات الجنسية) ومؤلفة الكتاب دكتورة «هيين رايت» وهى من أشهر طبيبات النساء، وعمرها ثمانون عاما، وما زالت تمارس المهنة حتى الآن..!

والى جانب ذلك فقد يهمك أن تعرف أنها مسيحية متدينة، وعملت مبشرة لمدة خمس سنوات فى الصين لحساب الكنيسة الانجليزية.

وتؤكد «هيلين رايت» أنها ليست إباحية ولم تفعل فى حياتها شيئا

يخالف تعاليم الدين، وأنها وضعت فى كتابها هذا خلاصة تجربتها فى عالم النساء والطب طوال هذه السنوات التى عاشتها والتى ما تزال تعيشها.

نقول: ولعل من تدين الكاتبة وتأثرها بتعاليم الكنيسة هذه القصة التى تحكيها، فهى تروى قصة سيدة متزوجة جميلة وشابة لتؤيد نظريتها الخاصة بالسماح بالعلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج.

تقول هيلين:

ذات يوم زارتنى سيدة صغيرة وكانت مضطربة اضطرابا شديدا، لأنها أصبحت غير قادرة على الاستجابة لرغبات زوجها الجنسية نتيجة للملل والمسئولية.

ووجدت هذه السيدة الصغيرة صديقا، ثم أصبحت عشيقته! وبعد فترة شعرت براحة نفسية، وبدأت تتجاوب مع زوجها تجاوبا كاملا..!!

فى أول الأمر شعرت بالذنب، ولكن زوجها لم يعرف بهذه العلاقة، وسعد سعادة كاملة بتجاوبها معه.

وظل الحال على هذا المنوال حتى الآن، ولمدة ست سنوات! وعلاقتها بزوجها وحبيبها فى منتهى القوة والجميع يعيشون فى سعادة..!!

هكذا عرضت المجلة العربية ما ينبغى أن تكون عليه العلاقة بين الرجال والنساء فى منطق امرأة وضيعة، وإن زعمتها طبيبة وراهبة!!

وفى هذا المقال غرائب شتى نقف عند كل غريبة منها لحظات...

أولى هذه الغرائب الجملة الأولى منه! «العالم على حافة فساد جنسى رهيب»!! فما الوقاية من هذا الفساد المحذور، وكيف ندفع شره عن العالم؟؟

العلاج هو إباحة الزنا لكل امرأة تزوجت أم لم تتزوج، وإباحة الزنا لكل رجل تزوج أم لم يتزوج..!!

إذا لم نفعل هذا وقع العالم فى فساد جنسى رهيب!!

ويتساءل أولوا الألباب: أى فساد يتوقع للعالم بعد هذا الانطلاق الفاجر الداعر؟

والجواب عند الرجال الفضلاء المشرفين على تحرير مجلة «آخر ساعة»!

وغريبة ثانية فى هذا الكلام هو وصف الكاتبة بأنها سيدة فاضلة اشتغلت

مبشرة فى الصين لحساب الكنسية الانجليزية، وأنها لا تفعل ما يخالف الدين.

وآية التدين فى سلوك هذه المرأة أنها ترحب بجريمة الزنا ترحيبا حارا، وأنها ترضى بها فى بيتها كما ترضى بها فى بيوت الآخرين!

ومعنى وصف هذه المرأة بالتدين أن شرائع السماء لا ترى فى الزنا عملا فاحشا، وأن الزناة من الجنسين ناس صالحون!!

أو كما يقول الأستاذ يوسف السباعى رئيس التحرير فى تسويغ بيع الجسد الانسانى والارتزاق من المتع الحرام: «صاحب ماكينة الطحين وصاحب عربة التاكسى يتعاملان بما يملكان، ولو كانت لك ماكينة طحين أو عربة تاكسى لتعاملت بهما مع الناس، ولكنك يا مسكينة لا تملكين غير هذا الجسد وسيلة للتعامل»!!

هكذا يجرى منطق البغاء على لسان إحدى المومسات فى رواية «نحن لا نزرع الشوك».

وهى رواية قذرة تتابع فصولها بانتظام فى المجلة العربية الشهيرة..

ونحن نعلم أن بعض الناس يعيش أغلب أوقاته فى شبكة «المجارى».

ويبدو أن بعض الأدباء ألف الحياة فى مجارى المجتمع ومساربه السفلى.

والمدهش أنه يريد جر الآخرين الى مستواه الخلقى.

أو أنه يريد نقل روائحه المنتنة الى ظاهر الحياة محاولا طمس ما نبت فوقها من حدائق، وما فاح فى جوها من عطور.

كذلك يصنع كتاب الجنس فى بلادنا وفى أكثر أقطار الدنيا..

وغريبة ثالثة فى المقال المنشور، أنه «رسالة لندن الى المجلة».

فى هذه الأيام العجاف، والعرب جاثون على أقدامهم أمام عدوهم الألد! وسواد الهزيمة يكسو وجوه الأقربين والأبعدين! والعالم أجمع ينظر شزرا الى الكثرة المسحوقة أمام سلالة القردة والخنازير!

فى هذه الأيام العجاف قد نرسل رجال صحافتنا الى لندن، ليدافعوا عن قضايانا المخذولة، أو ليحبطوا محاولات بنى إسرائيل، أو ليبعثوا إلينا بجديد فى

ميادين العلم والصناعة، أو ليرشدوا أبناء جنسهم الى تجربة نافعة أو كشف مفيد!

لكن الرسالة التى تجئ من لندن ليقرأها الناس فى القاهرة المهزومة، وليقرأها العرب الكاسفو البال فى كل مكان هى هذا اللغو الحقير.

وغريبة رابعة: إن هذا الذى تنشره دار أخبار اليوم، هو نفسه الذى نشرته دار الهلال لسيمون دى بفوار، وهو الذى تدور من حوله روز اليوسف، وهو الذى تبنته جريدة الأهرام عندما استقدمت جان بول سارتر وعشيقته وفرضتهما فرضا على الحياة العامة فى بلادنا..!

فما سر هذا التلاقى؟.. ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾

[الذاريات: ٥٣]

الواقع أن المنبع الذى استقى منه هؤلاء كلهم واحد. والوجهة التى ينطلقون اليها، ويشدون العرب معهم نحوها معروفة..!

إنها الانسلاخ التام من الاسلام كتابا وسنة، ونبذ الماضى العريق لأمتنا، والتقليد الصغير لماديات الغرب المنحل، وليكن ما يكون!!

وغريبة خامسة، لقد قيل: إن صوت المعركة يجب أن يعلو كل شئ، وألا يزاحمه فى ضمائر الناس وأفكارهم شئ.

فأين صوت المعركة فى هذا السفه الفاشى، وهذا الذهول الغالب.؟

لكأن هناك مؤامرة على إخفات هذا الصوت، وجعله أنين امرئ محتضر، أو همس الضمير المهزوم فى صدر مجرم آثم..!

أين صوت المعركة فى هذا الهزل المغرى بالعصيان، والجراءة على الله، ونسيان الفضائل والولوع بالملذات.

عندما انهزم المشركون فى بدر، قالت امرأة أبى سفيان: لا أمس طيبا حتى أدرك ثأرى من محمد.

وتملك المرأة جنون الثأر فعافت المتع الحلال وصدت عن اللهو والتسلية.

وما أرضاها إلا أن تجئ فى غزوة أحد لتأكل كبد حمزة بعد مقتله، تنفيسا عن حقدها لما أصاب قومها.

أريد من رجال صحافتنا أن يكونوا كهذه المرأة فى الشعور بمرارة الهزيمة وضرورة الثأر.

إنهم متبلدون عميان لا يرون مصابنا، ولا يحسون الحسرة لما نزل بنا.

وهم الآن يقومون بعمل هائل، هو تدويخ الأمة، وبلبلتها، وبعثرة أفكارها، وإضعاف أعصابها.

ومن المستفيد من هذا كله؟ الصهيونية والاستعمار!!

وغريبة سادسة، أو حقيقة سادسة وأخيرة هى:

هل هؤلاء الكتاب مسلمون عرب؟ لا، فما هم عرب ولا هم مسلمون!

لقد سحب الاحتلال الأجنبى جيبوشه بعد أن صنع أولئك الأمساخ وفق مواصفات ترضى ضغنه على الاسلام وتملأ بالضباب حاضره ومستقبله.

انسحب تاركا أزمة الأمور بين هذه الأيدى الشريرة لتنال من ديننا وأمتنا، أكثر مما نال هو، وتلحق بنا أشنع مما ألحق هو..!!

فهل تحررنا حقا من الأثقال التى آدت ظهورنا، وأعجزت خطونا؟.. اللهم، لا.

حتى ينقرض هذا الصنف الملتاث من عبيد الغزو الثقافى المنتشرين فى كل مكان.. والذى تمتلئ بهم شتى وسائل الاعلام.

* * *

بواعث الحقد على لفتنا

اهتمامى باللغة العربية ناشئ عن اهتمامى بالاسلام نفسه، وألوان الهجوم عليه، وضروب التقصير فى خدمته، وهذا الاهتمام قد يجعلنى أغلغل البصر فى أشياء قد تبدو مستغربة لأول وهلة، أجل، ربما عجب القارئ عندما يعلم أنى أقرأ ما يسمونه الشعر المرسل، وأتعرف اتجاهات الفكر الحديث فى كلماته الملمومة من هنا وهناك..

ومن بين القصائد التى استوقفتنى هذه القصيدة التى نشرتها الأهرام للشاعر محمد الفيتورى، أنقلها هنا على استحياء، لأن تسمية هذه الألفاظ شعرا هو كتسمية البصل رمانا، والطماطم جواهرا، والفول لوزا على نحو ما يصنع الباعة الجائلون فى أزقة القاهرة!

وعذرى فى إثباتها ما سوف أكشفه للقارئ الكريم، وهذا هو الشعر المنثور كما يقولون:

نار خطايانا
تسيل فى حنايانا
فلنتكئ على عظام موتانا
ولنصمت الآنا..
برج كنيسة قديمة وراهب قلق
وغيمة تشد قدميها وتعبر الأفق
ورجل بلا عنق..
وامرأة على الرصيف تنزلق
وقطة فى أسفل السلم تختنق..
وصوت ناقوس يدق

يرسم دورة على الفضاء، ويدق... الخ.

ودعك من أضغاث الأحلام التى ينقلك الى جوها هذا الكلام المفكك..

ودعك من تقطع الروابط العقلية بين هذه الألفاظ المتصيدة، فهى كما قيل: سمك، لبن، تمر هندى..

ولكن الشئ الذى لا تدعه، والذى يثير انتباهك حتما، هو جراثيم الاستعمار الثقافى، أو الغزو الصليبى الذى سيطر على هذا الشاعر الهائم..

فهو فى القاهرة المدينة المعروفة بشمسها الصاحية، ومآذنها السامقة، وصبغتها الاسلامية الأولى.

ولكن التبعية الفكرية والنفسية الغالبة على هذا الشخص التائه. جعلته لا يرى الا الغيوم وأبراج الكنائس والرهبان القلقين، ورنين النواقيس، وكأنه فى لندن أو روما لا فى مصر! !

إن هذا الانسان مثل الألوف من الخلق سلخهم التحرر الجديد من ماضيهم وحاضرهم فهم يعرفون كل شئ الا دينهم ولغتهم وقومهم.

ولست أكتب هذا الكلام نقدا للشعر المرسل، فأمره أتفه من ذلك!!

ولكنى أشرح الأحوال النفسية وراء البغضاء الكامنة ضد اللغة العربية وقضاياها فى شتى الميادين..

إننى قلق على مستقبل لغتنا ومتبين للمؤامرات الخفية والمشروعات الخبيثة التى تستهدف إماتة هذه اللغة آخرا، بعد جعلها الآن لغة ثانوية فى مجالات العلوم والصناعات، وفى مجالات الحديث العام والخطابة الرسمية..

والقضاء على العربية مخطط تبشيرى مدروس بعناية وينفذ بتؤدة وإصرار، وقد بدأ هجوما على الحروف العربية التى تكتب بها بعض اللغات الاسلامية، فأمكن خلال الخمسين سنة الأخيرة إماتة هذه الحروف فى اندونيسيا وماليزيا وتانزانيا ونيجيريا وغيرها.

وذلك حتى تنقطع العلاقة بالمؤلفات الدينية التى كتبها الأسلاف خلال ألف سنة.

ونجحت هذه الحركة، وشبت الناشئة المسلمة فى عشرات السنين الأخيرة، وهى لا تحسن قراءة ما كتب الآباء، أى شبت جاهلة بدينها، متجهمة لثقافته.

فإذا علمت أن اللغة الساحلية، ولغة الهاوسا – وهما اللغتان الشائعتان فى نيجيريا وماليزيا – هما لهجات عربية، وأن أكثر الكلمات منقولة عن لغتنا، عرفت أى خسار لحق بالإسلام من شاطئ المحيط الهادى الى الهندى الى الأطلسى..

وقد أطمع الاستعمار هذا النجاح الذى أصابه غنيمة باردة، فحاول أن يلغى الحروف العربية فى مصر نفسها، وحمل لواء هذا الارتداد عبد العزيز فهمى باشا.. رئيس محكمة النقض والابرام، وهى أعلى هيئة قضائية فى البلاد، ولكن الله سلم فسحقت الفتنة فى مهدها..

بيد أن الاستعمار لم ييأس من بلوغ مأربه فشرع يقص أطراف العربية بصور شتى، ويجعل النطق بها عورة!

وسخر بعض الحكام فى الدواوين وبعض الممثلين فى المسارح، ليوصلوه الى ما يبغى.

وإن المريض الآن ليذهب الى طبيبه فى حى السيدة زينب مثلا، فيخرج من عنده بورقة قد كتب عليها بالانجليزية دواؤه، وداؤه، وكأنه يعيش فى روديسيا، أو فى جنوب أفريقيا، ولا أقول فى لندن أو واشنطون!!

وربة البيت فى بيتها وصاحب العمل فى مصنعه لا يعرفان إلا مئات وألوف الأسماء والمصطلحات الغربية، لأن العربية معزولة عزلا عن هذه الآفاق..!

وبديهى أن قتل اللغة العربية قضاء على الاسلام نفسه، وردم للمنابع التى ينبجس منها، ويسيل فى المشارق والمغارب..!

وقد نشطت المقاومة الاسلامية لهذا المصير الهائل، وبين يدى الآن نداء لأخ كريم من رجالات التعليم يصرخ فيه بضرورة تعريب التعليم كله ويقول:

«إنه لا توجد أمة حرة فى العالم كله تمارس العلم بلغة أجنبية».

ولو استعرضنا أمم أوروبا وأمريكا جميعها، وكذلك الأمم الحرة المستقلة فى آسيا كاليابان والصين وتركيا والشعبين العربيين سوريا والعراق، لما وجدنا أمة منها تتداول العلم بلغة غير لغتها.

فقد نقلت الأمم المختلفة العلم الى لغاتها لتيسره لأبنائها، ولتصير العلوم من أهم دعائم ثقافتها، ومقومات حضارتها وتاريخها، ولكى يحيا العلم فى الأمة وتحيا الأمة بالعلم.

ولذلك سمى عصر نقل العلوم الى اللغات القومية بأوروبا «عصر إحياء العلوم» كما سمى أيضا «عصر النهضة، والثورة العلمية».

ثم إن لغة الأمة هى لواؤها الذى ترفعه فى مجال الحضارة والمعرفة، فان حرمنا هذا اللواء من بعض العلوم كان لواء متداعيا ضعيفا يدل على التأخر أكثر مما يدل على الرفعة.

ولقد كنا ندرس العلوم كلها بلغتنا العربية منذ عهد محمد على حتى جاء الاحتلال المشئوم، فأصدر الانجليز قرار سنة ١٨٨٩ يرغمون فيه المصريين على أن يتعلموا باللغة الانجليزية، بدلا من اللغة العربية.

وذلك لتحقيق أهداف استعمارية قاتلة.

منها قصر التعليم على طائفة خاصة وطبقة معينة، تدين لهم بالولاء، وتتولى الوظائف الحكومية.

ومنها إضعاف الروح القومية بين المتعلمين، لأن اللغة الأجنبية التى يتعلم بها المرء، تؤثر فى عقليته وتفكيره، وتوجه ولاءه توجيها بعيدا عن أهداف أمته، مما يمكن للاستعمار فى النفوس والقلوب.

لذلك قاوم المصريون المخلصون هذا القرار الاستعمارى الغاشم، واستطاع رجال القانون أن يمنعوا تنفيذه فى مدرسة الحقوق فظل القانون(١) بلغتنا لم يمسه سوء.

ولما تولى سعد زغلول نظارة المعارف سنة ١٩٠٦ أصدر قرارا قوميا، يلغى القرار الاستعمارى السابق، ويقضى بتعريب التعليم فى جميع المراحل التعليمية.

ولكن الانجليز حاربوا تعريب التعليم العالى بكل قواهم حتى أنهم أخرجوا سعدا من نظارة المعارف، إذ رأوه مصرا على التعريب..

ثم استطاع الزعيم المالى طلعت حرب أن يعرب علوم المال حين أنشأ بنك مصر.

ولما جاءت حكومة الثورة ودرست هذه المسألة، واطلعت على نظم التعليم فى العالم كله، لم تتمالك أن أصدرت قرارا يقضى بتعريب ما تبقى من التعليم الجامعى، وبدأ تنفيذ هذا القرار، وسار التعريب بطيئا حتى تم تعريب مقرر عامين دراسيين، ولو ظل التعريب على هذا المنوال لتم الآن تعريب كل شئ..

---

(١) نعم، ظل عربى اللغة، ولكنه أجنبى الموضوع.

ولكن الحزب(١) المتعلق باللغة الانجليزية المناوئ لحركة التعريب، انتصر أخيرا فأرجع الى لغة الانجليز السيادة فى الجامعة، وتم إبعاد لغتنا عن هذه الكليات، كما أبعدها الانجليز عن التعليم بقرار سنة ١٨٨٩، وذلك رغم قرار التعريب الذى صدر، ورغم أن نقل العلم الى لغة الأمة هو الأمر الطبيعى الفطرى، الدال على تمام الاستقلال، واكتمال الحرية، وسيادة الأمة سيادة حقيقية فى كل شئونها، ورغم أن بقاء العلم باللغة الأجنبية فى أية أمة من الأمم دليل تبعيتها لغيرها وهو بصمة الاستعمار الباقية على جبينها.

وقد ألفت كتب ومراجع عربية فى المقادير التى تم تعريبها حديثا، فألفت كتب فى الطب والهندسة والكيمياء والزراعة وغيرها، واستطاع ثلاثة أطباء من أعضاء المجمع اللغوى ترجمة الموسوعة الطبية الأمريكية وهى موسوعة قيمة تقع فى اثنى عشر جزءا.

ولكن هذه الحركة العلمية التأليفية وقفت الآن بوقوف التعريب فى الجامعة، وهذا دون شك خسارة كبرى تصيب الأمة فى حضارتها وثقافتها، وفى كيانها العلمى والفكرى.

من أجل ذلك وغيره مما لا يتسع المجال لذكره، يمكن أن تتدارك الدولة هذا الأمر الخطير قبل فوات الأوان، فتكلف لجانا متخصصة فى كل علم بإتمام تعريبه، والتأليف فيه، وترجمة كل ما يستجد من نظريات ومبتكرات أولا فأولا فذلك من أهم عوامل تقدم الأمة ورقيها.

والذين يستطيعون التعريب كثيرون، منهم:

١ ـ أساتذة الجامعات.

٢ ـ أساتذة جامعة الأزهر.

٣ ـ علماء المجمع اللغوى.

٤ ـ العاملون فى الوزارات والمصالح كأطباء الصحة والمهندسين ورجال التربية والتعليم.

---

(١) أن هذا الحزب ليس متعصبا للغة الانجليزية وحدها، إنه كاره للإسلام وما يمت اليه من قرب أو بعد.

ولا شك فى أن تعريب العلوم من مقومات المعركة الحالية، ومن عوامل الاعداد لها ولما بعدها، فان ذلك هو الطريق السوى الى توحيد المشاعر، وتمكين الولاء للقومية فى النفوس، كما أنه السبيل الحقيقى الى جعل العلم مفتوحا للمجتمع، ميسرا للجميع، فيستطيع أن ينتفع به العامل والصانع والفلاح، يستفيد منه أبناء الأمة جميعهم تقدما فى عملهم وفهما لإمكانياتهم.

كما أن هذا هو التحول الاشتراكى فى العلم الذى سارت عليه كل الأمم الحرة المتقدمة.

وإلا فكيف تتحقق اشتراكية العلم مع بقائه فى تلك الأطر الفولاذية التى فرضها علينا الاستعمار تحقيقا لأهدافه الهدامة.

وليس تعريب العلوم صعبا ولا عسيرا، إنه ميسور للغاية، جالب لأكبر المنافع للأمة.

بل هو الوسيلة الفريدة لاستقلالها السياسى وقدرتها على أداء رسالتها العظيمة هنا وهناك..

فهل يصدر قرار حاسم كهذا الذى أصدره سعد زغلول من ستين سنة؟

* * *

قرأت هذا المنشور الذى كتبه رجل غيور على العروبة والإسلام، وتبينت فكرته لأنى أبصر ما فيها من سداد، وما ينتج عنها من خير.

ولأنى أعرف أنها صيحة ستذهب سدى، ما لم يدركها النصراء المخلصون..

لكن هل سيحتفى بها سدنة القومية عندنا؟

لا.. لأنهم دعاة العامية، وحراس التبعية الفكرية والعاطفية لأوروبا، بقسميها الشرقى والغربى..!!

* * *